وقع الحرب العالمية الثانية على مسار الحركة الوطنية الجزائرية1939 – 1945 م

الدكتور احمد مسعود سيد علي. قسم التاريخ جامعة المسيلة. الجزائر.

مقدمة :

شهدت الحركة الوطنية الجزائرية ، مسيرة تاريخية زاخرة بالأحداث العصيبة ، والمتغيرات المتسارعة ، شكلت في مجملها كتلة متفاعلة في حركية التطور التاريخي الذي شهدته الحركة النضالية السياسية بالجزائر بين الحربين العالميتين1939/1919،حركية لم تعرف ثباتا قارّا على خط الأحداث الواحد ، بسبب ما كان يقع عليها من تأثير خارجي ، تفرضه مع مرور الوقت ظرفية التاريخ ،و طبيعة سيرورته في مجرى الأحداث، ذلك ان العالم سرعانما اتجه ثانية صوب حرب امبراليالية ثانية كانت نتاج لفشل آليات وضعها مؤتمر الصلح المنعقد في فرساي سنة 1919، حربا قلبت موازين القوى العالمية واحدثت وقعا ليس فحسب على دول وقوميات صاعدة بل على شعوب كانت لا تزال تئن تحت نير الاستعمار.

كانت الوطنية الجزائرية من بين الحركلات التحررية التي انبعث وميضها من جديد مع مطلع القرن العشرين وهي ا فعلت ذلك فانها عبرت عن امتدادها الطبيعي والحتمي للمقاومة المسلحة الوطنية في القرن 19م ، والتي طالما ظلت مسرحا ثائرا لتفاعل مختلف الوقائع والمشاهد السياسية ، فقد سعت الى ايجاد منهج سليم في التعامل مع الظروف المحيطة بها ، بهدف تغيير الأوضاع ، وأخلقة جو مهيأ للمطالبة ببعض الحقوق السليبة. وهذا رغم صعوبة الفترة واشتدادها وتباين الأحزاب الوطنية في نوعية مطالبها ، وأسلوب عملها .

لقد عبرت الحركة الوطنية الجزائرية بانبعاثها من جديد عن ديناميكية نشطة مجموع الفعاليات ، ومجمل النشاطات السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية ، في خط توعية الشعب الجزائري ، والدفاع عن حقوقه ومصالحه ضمن اطار منظمات حزبية ، وجمعيات وهيئات برزت غداة الحرب الكونية الأولى ، واتخذت من تربية الشعب وتوعيته والمطالبة بحقوقه السليبة خاصة المساواة حينها والظفر بها مرمى وهدف لها.[1]

وقد مرت هذه الحركة بمسار تطوري شاق وعصيب ، و كثيرا ما كان محفوفا بالفترات الحرجة ، والمواقف الصلبة ، خاصة تلك المتعلقة بالاعتقالات والمداهمات ، وبالسجن أو التعذيب والنفي في حق زعماء وقادة تياراتها[2].

وإذا تبصرنا موقع الحركة الجزائرية بين 1939و1945 فإننا سنلحظ بأن التاريخ الأول يوحي الى نهاية أطوار الحرب العالمية الأولى التي تميزت بخيبة أمل النخب الجزائرية التي لم تتوصل الى تحقيق المطالب البسيطة ، رغم الجرأة في التعبير عنها ، وكذا بروز البوادر الأولى للحركة الوطنية كما أكدنا على ذلك سلفا ، أما التاريخ الثاني ، فيمكن اعتباره فاصل للعمل السياسي السلمي للقضية الجزائرية في اطار الشرعية الاستعمارية.[43]

- **أوضاع فرنسا والجزائر عشية الحرب العالمية الثانية :**

في نهاية صائفة عام 1939م ،كانت فرنسا المستعمرة ضعيفة في بلادها هناك ما وراء البحر ، وحتى هنا بالجزائر ، فلا حكومة قوية تمسك بزمام الأمور ، ولا جيش منظم ومجهز معنويا مجابهة أقسى الشدائد ، و رغم التحصينات المركزة على التخوم الشرقية ، إلا أنها تجد بد أمام تقدم قوات هتلر الخاطفة ، زد على ذلك ، ففرنسا قد فقدت تحالفها مع بريطانيا ، التي تجرعت هي الأخرى من مرارة الكأس التي تذوقت منها فرنسا ، وضعفت سياسيا ، وهو العطب الذي سيعالجه ونستون تشرشل عند توليه الحكم في بريطانيا.

أما في الجزائر فان الحكومة العامة قد واجهتها مشاكل أخرى ، اذ أنها فشلت في إيجاد حل للقضية الجزائرية عبر الحلول والمشاريع التي تقدمت بها الجبهة الشعبية يضاف الى ذلك الأحوال الاقتصادية التي كانت تنذر بالمجاعة ومطالب الوطنيين بالمساواة في الحقوق ، ووجوب الغاء القوانين الاستثنائية لم تجد آذانا صاغية في البرلمان الفرنسي ، كما فشلت مشاريع الإصلاح التي تقدم بها بعض الفرنسيين كمشروع **بلوم فيوليت*** ، ووضع معظم قادة حزب الشعب الجزائري في السجون والمعتقلات مع إصدار مأمورية تدعو إلى حل حزبهم الناشط ، بالإضافة إلى صدور قرار مثيل يدعو الى حل منظمة الشيوعيين ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، على الرغم من أن هذه الأخيرة ليست بجمعية

[1] بشير بلاح: موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة ، الجزائر ، ص 101.

[2]

[3] محفوظ قداش : تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ترجمة: أمحمد بن البار ، ج1،دار الأمة،الجزائر،ط2008،1،ص5.

[4]

سياسية في أغلب الظاهر ، ولكن في جوهر اليقين كانت تقف ندا قويا في وجه الأداة الاستعمارية ، ورفضت رفضا مطلقا تأييد فرنسا في حربها الدائرة رحاها في أوربا.[1]

- الحرب العالمية الثانية والحركة الوطنية الجزائرية :.

أمام تزايد الوعي الوطني لدى الوطنيين الجزائريين وتناميه لدى مختلف ممثلي الأحزاب والجمعيات الوطنية ، سارعت فرنسا الى استغلال فرصة اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وقامت بتقييد الجماهير الجزائرية بمجموعة تعسفية من الإجراءات القسرية ، كان أهمها وأشدها وقعا على الإطلاق ، تضييق الخناق على رؤساء الحركة الوطنية الجزائرية ، خاصة في عهد حكومة **فيشي** التي تكونت في فرنسا عقب اجتياح القوات الألمانية لها في جوان1940 ، زد على ذلك ابعاد العرب واليهود عن مسرح السياسة الأمر الذي أعطى للمستوطنين فرصة التحكم في كل شيء.[2]

لكن سقوط فرنسا على يد ضربات الألمان في يونيو عام 1940م ، أدى الى تعرية الكثير من الحقائق وساهم في تحطيم حاجز عقدت الخوف من الاستعمار، استعمار جعل من الجزائريين يتوهمون بأنها ذات قوة جبارة لا تقهر ، وأن جيشها معزز بالعناية الإلهية ، وكان ذلك كفيل لإيقاظ بقية الجزائريين الذين كانوا ما يزالون يعتقدون بوجود ضمير عادل في انسانية فرنسا ، بالإضافة الى أن الدعاية التي كانت الجزائر مسرحا لها سواء من طرف دول المحور (ألمانيا ، ايطاليا) ، أو من لدن دول الحلفاء (روسيا وبريطانيا وأمريكا فيما بعد). قد أدت أيضا الى تحديد الغافلين ، وإقناع المترددين .

لكن كيف تفاعلت الحركة الوطنية الجزائرية مع ذلك كله ؟ علما ان حزب الشعب الجزائري قد واصل كفاحه السياسي في اطار سرية محكمة ، على الرغم من كل الأساليب القمعية التي انتهجت ضد رؤسائه ، وكذا جمعية العلماء المسلمين التي ما فتئت تواصل مجهودها الإصلاحي ، رغم حملات المضايقة التي تعرضت لها بغية الحصول على فتوى الجهاد الى جانب فرسا ، بالإضافة الى دعاة الإدماج الذين عرف حزبهم هو الآخر حراكا غير معهود في سبيل الدعوة الى تحقيق مطلبهم بمنهج سلمي بعيد كل البعد عن العنف الذي لا يريدونه ، فحزب الشعب الجزائري (PPA) ، كان تقريبا هو الحزب الوحيد بين كل الأحزاب الوطنية الأخرى ، الذي دافع بكل جرأة سياسية عن أطروحة الاستقلال في برامجه ، أين ازدهرت فكرة الوطن الجزائري وتحرره كان افرازا للنشاطات السرية التي كان يقوم بها.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قامت هي الأخرى بدور ريادي في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية ، وحاربت الاحتلال بوسائطها الخاصة ، ومنعته من التغلغل الى نفوس الشعب الجزائري عقائديا ولغويا ودينيا ، قد رفض مجلسها تأييد فرنسا سنة 1938م ، في حالة ما اذا نشبت الحرب بين فرنسا وألمانيا ، وذلك ردا على رفض فرنسا لقرارات المؤتمر الإسلامي الأول والثاني*[3] بطريقة تماطلية ، كذلك ذاك التهديد المباشر الذي وجهه رئيس وزراء فرنسا لكل من عبد الحميد بن باديس وفرحات عباس في باريس بمقر الحكومة الفرنسية ، عندما دار الحوار بينهم حول قرارات المؤتمر الإسلامي ، أين قال لهما رئيس وزراء فرنسا أن بلاده قوية وبإمكانها استعمال القوة اذا دعت الحاجة الى ذلك.[4]

في صائفة 1939م ، نددت الصحف الفرنسية بمواقف حزب الشعب الجزائري ، وجمعية العلماء المسلمين ، وراحت تذكر حكومتها بما قاله هؤلاء في القضية الجزائرية ، وذكرت دورية "افريقية فرنسية" في عدد جوان 1939م بما كتبه **سورين** عام 1938م قائلا : (هل تريد أن ننسى جميع ما قاله ابن باديس ومصالي؟ وتأكيدهم بأن الجزائر لا تستطيع أن تكون فرنسا... فصحافتهم تضاعف هجوماتها كل أسبوع ضد فرنسا

---

* سمي بهذا الإسم نسبة إلى واضعه ، وهو فيوليت وكان ذلك بتاريخ الفاتح من جوان 1936م ، حيث استلمت السلطة في فرنسا حكومة الجهة الشعبية اليسارية ، وأرادت أن تعبر عن عطفها المزعوم على الشعب الجزائري ، فتبنت مشروع "بلوم فيوليت" الذي كان محل نقاش في فرنسا منذ العام 1931 ، وأهم بند ينص عليه هذا المشروع هو : إدماج الجزائر بفرنسا. للمزيد: أنظر: بشير بلاح المرجع السابق ، ص 108 ، 109.

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج3 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 1986 ، ص173.

[2] سليمان قريري : الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954 ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة باتنة1 ، 2010 ، ص82.

* : انعقد المؤتمر الأول بالعاصمة (الجزائر) في السابع من يونيو عام 1936 ، في حين انعقد المؤتمر الثاني بالملعب البلدي بالعاصمة يوم الثاني من شهر أوت 1936 ؛ أي في نفس السنة ، ولأكثر التفاصيل حول حيثيات المؤتمر ينظر : محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1930-1954 ...ص174،157.

[3] محفوظ قداش : المصدر السابق ، ص 8.

[4] ابراهيم العسكري : لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دارالبعث للنشرالجزائر، 1992 ، ص39.

وتهددها بانتقام الإسلام) ، ونظرا للخوف الذي يسيطر على الفرنسيين فقد سارعوا الى القضاء على حزب الشعب باسم القانون ، وكرره ضده نفس الاتهامات وهي المس بوحدة التراب الوطني وبالسلطة الفرنسية ، وأول عملية قامت بها مصالح الشرطة الفرنسية هي مهاجمة مقر جريدة (الأمة) ، وكذلك مقر اقامة مديرها واحتجزت وثائق مهمة.[1]

أما النواب والنخبة* ، وبحكم وظائفهم الرسمية ، فقد رحبوا بفكرة تأييد فرنسا الديمقراطية ضد ألمانيا النازية ، فتطوع زعمائهم لخدمة الحرية والديمقراطية اللتين درسوهما في المدارس الفرنسية ولكنهم لم يعرفوها في التطبيق.[2]

وقد تساءل المؤرخ الراحل أبو القاسم سعد الله عما اذا كنا في حاجة الى التذكير بأن رجال الدين الرسميين قد أعلنوا هم أيضا عن ولائهم لفرنسا؟

...ان الأمر واضح ولا يحتاج الى تذكير ، فقد توالت البرقيات وبوحي من السلطة الفرنسية ذاتها تعلن فتوى رجال الدين (المفتيون ، القضاة ، المرابطون ...الخ) الرسميين بوجوب الحرب مع فرنسا شرعا ، وكان هذا هو عربون الولاء الذي حصلت عليه فرنسا من الجزائر ، كما قام الفرنسيون بنقل المجندين الجزائريين الى الجبهة الأوربية ، كونهم لا يثقون في بقائهم بالجزائر نفسها ، وحتى النخبة بدورها تطوعت بمعية النواب وقدماء المحاربين في الحرب ، وأعلن الموظفون الرسميون تأييدهم لفرنسا[3] ، لكن ماذا عن الوطنيين ؟ هل سلكوا نفس المنهج الذي سار عليه هؤلاء ؟ أم أنهم اختاروا سبيلا آخر ؟

ان أحرار حزب الشعب قد زجّ بأغلبية زعمائه في غياهب السجون ، فخلال سنوات 1939-1940 قرر الجنرال **نوقيس** قائد القوات الفرنسية في شمال افريقية سجن أعضاء حزب الشعب ، وعلى رأسهم مصالي الحاج وذلك بحجة قيامهم بنشاطات معادية لفرنسا .

وتذكر بعض المصادر أنهم كانوا يندسون في الجنود الجزائريين بالجيش الفرنسي ، ويعملون على اضعاف روحهم المعنوية ، ويحرضونهم على العصيان وعدم المشاركة في الحرب ضد السوريين في الشام آنذاك،في حين تطرقت بعض المصادر الى ذكر بعض الأسماء التي ألقي القبض عليها في الرابع من شهر أكتوبر سنة 1939 ، ويتعلق الأمر بـ: بومدين معروف ، عمار بوجريدة ، خليفة بن عمار ، مفدي زكرياء ، الشاذلي المكي ، محمد فليته ، قدور التركي ، ابن العقبي ، محمد خيضر ، بومعزة علاوة ، محمد ممشاوي ، وكانت هذه المتابعة من لدن الإدارة الفرنسية كافية بأن تجعل حزب الشعب الجزائري من العلنية الى السرية – وقد أوضحنا ذلك سابقا- .[4]

أما حكومة **فيشي** فقد حاولت في بادئ الأمر أن تسلك سياسة الوفاق مع حزب الشعب ، وعندما لم يقدر لها النجاح في ذلك ، لجأت الى المعاملة القاسية لأعضائه ، فقد أجرت اتصالين بمصالي الحاج أحدهما في نوفمبر 1940 ، والثاني في مارس 1941 ، في محاولة لإقناعه على أساس التعاون على قدم المساواة بين الفرنسيين والمسلمين ، شريطة تخليه عن المطالبة بالاقتراع العام والبرلمان الجزائري.[5]

وبعد شهر فقط من تمرد الحراش* ، وفشل محاولة التفاهم الثانية مع مصالي ، قدم هذا الأخير للمحاكمة ، وقد صرح أمام القضاة بأن حزبه يرغب في المساواة المطلقة ، مع احترام تقاليد الجزائريين ولغتهم ودينهم ، وبالتالي فهم لا يريدون الانفصال عن فرنسا ، ولكن يريدون التحرر بإعانتهم في اطار السيادة الفرنسية ، وأعلن عن أمله في إحداث تغييرات وعلاقات جديدتين مع فرنسا ، وختم ما قاله بهذه العبارة :

---

[1] يوسف مناصرية : الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 ، ص 103 ، 104.

* تردد مصطلح النخبة في فترة معينة من تاريخ الجزائر كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت المقام الأول في نشرات الصحف والمناقشات اليومية ، مثل الإدماج ، وتأثروا بالثقافية الأوربية وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها في الجزائر ، للمزيد أنظر : عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، شركة الأمة الجزائر،2013،ص251.

[2] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص 173.

[3] نفسه : ص173.

[4] أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ص 180.

[5] نفسه : ص 181.

* : نتيجة نشاط حزب الشعب حدث تمرد في ضاحية الحراش قرب العاصمة يوم:1941/01/25 ، وق قام بهذا التمرد فرقة الرماة التابعة لفيلق المشرق الذي يضم حسب البعض عناصر معروفة بالصلابة والعناد، ورغم أن ظروف هذا التمرد وحيثياته مازال يلفها الريب فان محاكمات أعضاء حزب الشعب بعد ذلك بقليل تدل على انه قد يكون لهم ضلع فيه ، وقد أسفر التمرد عن مقتل عدد من الفرنسيين تجاوز العشرة.

(وان ما نرغب فيه هو خلق تعاون حقيقي) بين البلدين ومع ذلك فقد حكمت عليه المحكمة العسكرية بست عشرة سنة سجنا مع الأشغال الشاقة وثلاثين مليونا من الفرنكات غرامة ، مع مصادرة أملاكه الشخصية ، وقد شملت المحاكمة أيضا بعض أعضاء الحزب الذين ذكرنا أسماءهم سابقا.[1]

وبطبيعة الحال فان ما صدر بحق مصالي الحاج ، لم يتم السكوت عليه وبالتالي فقد كانت ردود الفعل على محاكمته** بمعية الأعضاء الآخرين ، سريعة ومكشوفة رغم ظروف الحرب ، وتمثل أول رد فعل على ذلك في مضاعفة أعمال الحزب السرية وإنشاء ادارة له تميزت هي الأخرى بنفس الصفة وهذا كله بسبب عدم قدرة الزعماء البارزين في الحزب ، القيام بنشاطهم العادي ما أدى الى ظهور قيادات جديدة : أبرزها : ، أحمد مزغنة وأحمد بودة ، وكذا حسين عسلة ، والدكتور الأمين دباغين ، ومحمد طالبي...وغيرهم.

وقد أبدت أخيرا جميع الحركات السياسية في الجزائر ، اقتناعها بأن السياسة الاستعمارية الفرنسية أصبحت واضحة ، تهدف الى جعل الشعب الجزائري قطيعا من العبيد ، يسخرهم السيد الفرنسي لأغراضه الخاصة ، ولن تكون هناك مساواة بين العبيد والسيد مهما نهل هذا العبد من ثقافة سيده ، إلا أن المثقفون* باللغة الفرنسية وفي مقدمتهم فرحات عباس لم يقتنعوا بذلك وحاول الاحتلال الفرنسي أن يقنع هذه الفئة المتخرجة من المدارس الفرنسية بتصرفاته اللاأخلاقية التي توحي لهذه الفئة بأنها لن تصبح جزء من الشعب الفرنسي مهما حاولت ذلك ، والدليل على ما سبق أنه لما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، التحق كل من فرحات عباس ، وابن جلول والدكتور الأخضري بالجيش الفرنسي ، ووجهوا نداء الى الشعب الجزائري ، يدعو الى الدفاع عن فرنسا الوطن الأم ، بيد أن فرحات عباس قد وجد التفرقة العنصرية في الجيش الفرنسي حتى في لقمة الخبز ، فكان فرحات عباس يعطى الخبز الأسمر ، بينما زملاؤه الصيادلة فيعطون الخبز الأبيض.[2]

بالإضافة الى أنه كان يعامل كأهلي لا كمواطن ، ورغم أنه لم يقف موقف المعارض لنظام فيشي كما فعل مصالي الحاج وأعضاء حزبه ، فانه قد بدأ منذ ربيع 1941 يحدد معالم طريق جديدة ستقوده بعد حوالي سنة فقط الى وضع البيان الجزائري الشهير.[3]

وعلى غرار حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين ودعاة الإدماج فقد كان للحزب الشيوعي الجزائري مكانة في الساحة السياسية الوطنية الجزائرية غداة الحرب العالمية الثانية ، وبالرغم من اتهامه من قبل الكثيرين بأنه "لم يكن حزبا جزائريا خالصا " ، وأنه لم يؤثر في مسار الحركة الوطنية لا قبل ، ولا بعد الثورة التحريرية ، الا أنه قد لعب دورا كبيرا في النضال السياسي وحتى العسكري ، وبعد فشل الجبهة الشعبية ومشروع بلوم فيوليت ، غير الحزب الشيوعي الفرنسي ومن ورائه الحزب الشيوعي الجزائري عمله السياسي في فيفري 1939 ، وراح يدافع عن سياسة ادماج الجزائر مع فرنسا وخلق كيان جزائري يضم الأوربيين واليهود وأبناء البلد الاصليين ، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وغزو الاتحاد السوفياتي سابقا فنلندا . استقال الامين العام للحزب الشيوعي الجزائري من منصبه احتجاجا على هذا الغزو ، ، وذلك بالعمل على تحرير هذا الغزو ومن ثم بدل قادة الحزب من استراتيجية عملهم الحزبية ، وذلك بالعمل على تحرير فرنسا من الاحتلال النازي ، على أن تساعد فرنسا الجزائر بعد استقلالها4 .

مع مطلع شهر نوفمبر 1942 ، دخلت الجزائر مرحلة جديدة من تطورها السياسي ، سيظر فيها الحلفاء من جهة . ولجنة فرنسا الحرة من جهة أخرى ، وقد تميزت من الجانب الوطني بمحاولة ملء الفراغ على يد فرحات عباس وجماعة النخبة والنواب ، الذين كانوا يتحركون

---

[1] سعد الله : المرجع نفسه ، ص 182.

**:كان الحزب في خضم ذلك يقوم بدعاية واسعة وسط الجنود والأهالي والمناضلين المساجين ، وكان يوزع سريا عدة وثائق ونشرات من بينها نشرتا : العمل الجزائرية وصوت الأحرار ، وكان أنصار الحزب يلصقون بالجدران العبارات المعادية لفرنسا والمطالبة بتحرير مصالي الحاج وغيره من أعضاء الحزب ، وكان من بين تلك الشعارات "الجزائر للجزائريين..ويعيش مصالي" وهذه الموجة من ردود الفعل هي التي جعلت والي اقليم الجزائر يكتب هكذا (ان الحكم على مصالي قد مس أخيرا قدماء المناضلين في حزب الشعب الجزائري....والمستقبل وحده هو الذي سيحكم ما اذا كان قرار المحكمة سيعطي المصاليين مجدا جديدا ببلورة شعور المرارة والغضب لدى أعضاء حزبه ضد الفرنسيين) أنظر: المرجع نفسه : ص183.

* اختلفت المفاهيم حول تعريف مصطلح "المثقف" ، فمثلا يعرفه قاموس العلوم الاجتماعية في طبعة عام 1979 كما يلي : (المثقفون ...عناصر من المجتمع يكرسون جهودهم لبلورة أفكار أصلية جديدة ، ويشتغلون بنشاطات ثقافية منتجة ، وتمثل هذه المجموعة أقلية ضيقة من مجموع المتعلمين في المجتمع...) وحسب هذا القاموس فان مفهوم "المثقف" لا يدل على نفس معنى مفهوم "أنتليجنسيا" وهذان المفهومان تداولا كثيرا في فترة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، ينظر : نوارة حسين ، المثقفون الجزائريون ، ترجمة فتحي سعيدي ، موفم للنشر، الجزائر 2013 ، ص82 ، 83.

[2] ابراهيم العسكري : المرجع السابق ، ص 43.

[3] أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ص184.

[4] عبد الوهاب بن خليف : تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال الى الاستقلال،ط1،دار طليطلة الجزائر،2009،ص155.

بشيء من الحرية رغم ظروف الحرب ، أما أعضاء حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء ، فقد كانوا مقيدين أو مبعدين عن المسرح السياسي .وتميزت الفترة أيضا بإطلاق العنان للشيوعيين .الذين استأنفوا نشاطهم في غياب منافسيهم أعضاء حزب الشعب وعلى العموم فقد كانت الحركة الوطنية الجزائرية خلال المراحل الاخيرة ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ممزقة القيادة ولم تفرض وجودها على احد[1].

ان هذه الفترة التي كانت فيها الحركة الوطنية بين سندان الحلفاء ، ومطرقة المحور ، قد ضاعفت مجهوداتها من اجل البحث عن كسب تأييد لها ، يساعدها في التعامل مع الظروف الصعبة التي كانت تمر بها ، وما زاد املها بريقا هو رفع الحلفاء لشعار "الحرية والديمقراطية ، ومحاربة الدكتاتورية وحق الشعوب في تقرير مصيرها." ، وكذا المساواة في الحقوق والواجبات.

وفي خضم ذلك كله كانت مبادئ الميثاق الاطلسي2 التي اعلن عنه الحلفاء منذ ديسمبر1941 تشتاح الشعور الجمعي اولا لقادة الحركات التحررية في العالم وثانيا قادة الحركة الوطنية الجزائرية اشتياحا احدث وقعا ساهم في اعطاء هذه الاخيرة ديناميكية وفاعلية كانتا كفيلتين بفتح افاق واعدة وخصبة في مسارها.

لقد رحب الكثير من الجزائريين بنزول الحلفاء بالجزائر ،مرجعين حماسهم في ذلك الى انهم يمثلون علامة التحرر لتحقيق البنود التي نصت عليها اطروحة الميثاق.

لكن هل نزول الحلفاء بالجزائر , جاء على اساس تحريرهم من ربقة الاحتلال الفرنسي , كونهم يمثلون مبادئ ميثاق عادلة ؟ ام انهم جاءوا من اجل تنبيه فرنسا بضرورة تقوية شوكتها في المنطقة للتمسك بها ؟ دون مراعاة شعور الجزائريين .

نزول الحلفاء بالجزائر ، واتصالات فرحات عباس مع روبرت مورفي :

قبل نزول الحلفاء بالجزائر ، قام ممثليهم بشرشال يوم 27 أكتوبر من سنة 1942 ، وخططوا لعمليات نزول الجنود ، وقد حضر عن الجانب الفرنسي الجنرال جيرو وبعض أنصار ديغول والجمهوريين والملكيين وغيرهم ممن كانوا يمثلون قطاع المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي ونظام فيشي ، وحضر من الجانب الامريكي الدبلوماسي روبرت مورفي ، الذي ستربطه علاقات اتصال مع فرحات عباس ، وكذا الجنرال كلارك وضباط اخرون ،بالإضافة الى هارولد ماكميلان وبعض الضباط عن بريطانيا ، وكان جدول الاعمال يشمل دراسة كيفية نزول الحلفاء بنجاح ، وبخصوص موقف الشعب الجزائري وزعماء الحركة الوطنية فلم يكن في الحسبان ،وفيما يبدوا كان الحلفاء مطمئنين لولاء السكان لان دعايتهم السابقة قد جعلت منهم ابطلا محررين يهدفون الى تخليص الشعوب من بوتقة الظلم الاضطهاد ،كانت التقارير الامريكية تشير الى ان السكان المسلمين قد برهنوا على صداقتهم للحلفاء ولعل ذلك هو السبب في عدم اخذ السكان في الاعتبار يوم الاجتماع الذي وقع فيه وضع الاستراتيجية لنزول قوات الحلفاء ، بالإضافة الى ان قيادة الحركة الوطنية كانت شبه مفقودة3 في حلقات فترة خريف 1942م.

في شهر نوفمبر 1942 ، نزلت قوات الحلفاء في افريقيا الشمالية4 بداعي رد العدوان الالماني - الايطالي عنها ، وقد تجلت اهداف الحلفاء في الجزائر، فيما يلي :

1- ايجاد ادارة مستقرة ناجحة.

2- اعادة الحياة الاقتصادية المخربة

3- اعادة قرار كريميو الى اليهود.

وابرز هدف خفي ، سعى الحلفاء الى تحقيقه هو : المحافظة على السيادة الفرنسية في شمال افريقيا ، وبخاصة الجزائر.5

وبنظرة تحليلية لهذه الهداف ، يتراءى لنا منذ الوهلة الاولى بان الحلفاء لا يمكنهم التخلي اطلاقا عن دولة تعتبر جزءا من الحلف الذي شكلوه، ومن اجل تركيز صور قوتهم في قطر العالم ، لجأوا الى تثبيت سند ولدعم لفرنسا ،كما تخدم هذه الاهداف مصالح الفرنسيون واليهود ، وليس السكان ابدا.

---

[1] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص193.

[2] أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ص194.

[3] المرجع نفسه ، ص194.

[4] ابراهيم العسكري : المرجع السابق ، ص43.

[5] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص199.

وقد ذكرت جريدة النيويورك تايمز الامريكية على لسان احد المراسلين العسكريين للجريدة بان عرب الجزائر "مازالوا يعيشون في عالم اقطاعي. وهم في حالة بؤس , ينهشهم المرض والفقر والانحطاط. ورغم ان دعايتنا قد جعلت كثيرا من عرب شمال افريقيا باردين نحو المحور. فان دعاية المحور لم تنجح في جمع شملهم وخلق قوة محدة منهم"[1]

والحالة هاته وبدعوى حماية الجبهة الجزائرية في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها العالم ، توجه الوطنيون الجزائريون نحو معسكر الحلفاء بغرض تحقيق مطالبهم الخاصة بتقرير المصير، وقد تم الاتصال بين الطرفين بمجرد دخول الحلفاء ارض الجزائر سنة 1942م.[2]

كانت فرنسا في وقت سابق قد طالبت الجزائريين بالوقوف معها في حربها ضد النازية. واجاب الوطنيون الجزائريون على انه اذا كانت الحرب بغرض تحرير الشعوب ، كما جاء ذلك على لسان الرئيس الامريكي ولسن ، فان المسلمين الجزائريون لا يدخرون جهدا في سبيل المساهمة فيها بكل طاقتهم لكن شريطة ان ينطبق كل ذلك على الجزائر ايضا. وقد ظهرت شخصية فرحات عباس بهيئة قوية خلال فترة الحرب 1939-1945م وربما يعود ذلك الى غياب شخصية مصالي الحاج الذي كان رهن الاعتقال ، والذي تم نفيه بعد ذلك الى الكونغو برازافيل[3] ،وقد لوحظ بان هناك تغييرا وتطورا كبيرين في مواقف فرحات عباس خاصة في اواخر الثلاثينات، اي بعد الر فض الرسمي الفرنسي لمشروع بلوم فيوليت الذي مثل ارضية عمل المؤتمر الاسلامي ، بيد ان هذه المواقف سرعانما نضجت وتطورت وتحولت في اواخر الاربعينات ، من مواقف اندماجية ، الى مواقف ثورية صلبة ، فدعاة الادماج , قد استغلوا سقوط الحكومة الفرنسية في باريخ خلال هذه الحرب .ليطالبوا على اثر ذلك حركة المقاومة الفرنسية في الجزائر ، بضرورة الاعتراف بالحقوق السياسية للجزائريين مقابل وقوفهم الى جانب الفرنسيين في حربهم ضد النازية[4].

لقد افتقرت الحركة الوطنية الجزائرية الى قيادة جادة . توجهها نحو المنحى السليم ، خاصة بعد ان شهدت هذه الفترة وفاة الامام عبد الحميد بن باديس الذي كان محل تقدير الجميع تقريبا ، في الوقت الذي اشتدت فيه الحاجة الى صوت قائد يمثل الشعب ، بالإضافة الى تواجد زعيم حزب الشعب مصالي الحاج في المنفى ، وتلاشي الثقة التي وضعها الناس في ابن جلول الدي بدا غامضا ومتذبذبا في مواقفه خلال الثلاثينيات ، وتطوع فرحات عباس في الجيش الفرنسي ولم يكن وقتها معروفا كثيرا على المستوى الوطني ، لذلك سادت هذه الفترة الحرجة ثغرات سياسية عميقة ،فلا تجمعات ولا احزاب ولا قادة ، بل ولا حتى جريدة او مجلة يلتفون حولها[5].

لكن صورة ذلك تغيرت تماما مع نزول الحلفاء بالجزائر ، حيث اعترفت مصادر امريكية بان الوطنيين الجزائريين قد اتصلوا بممثلهم روبرت مورفي ، وعبروا له عن رغبتهم في مساعدة الحلفاء لحصول الجزائر على استقلالها ، وكان زعيم هذا الاتصال هو فرحات عباس نفسه ، هذا الاخير قد اتصل بمورفي قبل نزول الحلفاء بالجزائر، وآخر اجتماع تم بينهما كان في يوم 7 نوفمبر 1942 اي قبل يوم واحد من نزول القوات المتحالفة ويقول مورفي الشهير بخطاباته الغير حذرة ان هذا الاجتماع كان بدون استدعاء وبدون ان يتوقعه ايضا ،وقد وصف عباس فرحات قائلا بانه "وطني .عربي .جزائري متحمس" وان له حركة في مقدورها أن تسبب مصاعب شاقة امام نزول القوات لو استعملها ، وقال عنه ايضا انه وجد فيه رجلا "معتدلا ومتعقلا" .

وانه كان يحضر إليه لمناقشة ملف تحرر الجزائر[6] ويبدو ان هذه اللقاءات المكوكية بين فرحات عباس و روبرت مورفي هي التي اوحت الى صياغة بيان 1943م .

- بيان فيفري 1943 وميلاد حركة البيان والحرية :

اجرى فرحات عباس اتصالا مع ادارة (بايروطون). وأعطي له الضوء الأخضر لتقيم مشروع الإصلاحات. وقد ترك الحاكم العام انطباعا بأنه فهم ضرورة تحرير النظام الاستعماري ، وعقد اجتماع عند الشهيد بومنجل ، 2شارع فيالار بالجزائر العاصمة ، وقد ضم بالإضافة الى فرحات عباس كل من : ممثلي حزب الشعب (عسلة حسين , لمين دباغين) ومن جانب جمعية العلماء (العربي تبسي ، خيرالدين ، توفيق

---

[1] نفسه : ص199.

[2] سليمان قريري : المرجع السابق ، ص 81.

[3] نفسه : ص81.

[4] عبد الوهاب بن خليف : المرجع السابق ، ص161.

[5] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص185.

[6] المرجع نفسه : ص200.

المدني) ، وقد اخذ فرحات عباس مهمته على محمل الجد ، وحرر البيان بسطيف في غرفة تتواجد اعلى صيدليته بشارع سيلاغ , واودع عمله هذا لدى مقرر الجزائر العاصمة1.

وقد تضمن هذا البيان تشكيل حكومة جزائرية مؤلفة من وزراء يوزعون بالتساوي بين اصحاب الحقوق من الفرنسيين والمسلمين برئاسة سفير لفرنسا يكون مفوضا ساميا ، لكن تم رفض ذلك من قبل الجنرال كاترو الذي صرح بشان ذلك قائلا : "ان مسالة دولة فيدرالية مع فرنسا كما اقترحها فرحات عباس غير ممكنة ... وساقف بالمرصاد للذين يسعون لتحطيم الوحدة الفرنسية2.

ورغم صلابة الطرح الذي اتسم به هذا البيان ، إلا أن بعض مؤرخي الحركة الوطنية وبما فيها ، محفوظ قداش ، رأوا بأن هذا البيان لم يوضع في وقته المناسب لسياق تلك المرحلة ، بالإضافة إلى أنه كان بمثابة التعبير عن المطلب المعتدل لطبقة صغيرة برجوازية ومثقفة لم تجعل للثورة العنيفة طريقا والتي تجد كرامتها في الانضمام إلى الشعب ، وقد كان البيان كما يضيف بومنجل "تعبيرا عن نتاج قوى لا تزال غير محددة ومعالمها غير واضحة ...إلا أنه كان مقاربة كافية حتى يتبناه الشعب "3

ولما كان فرحات عباس متيقنا من الدعم الشعبي ، اتصل بكل من مصالي الحاج والشيخ البشير الابراهيمي وكون بمعيتهم جبهة متحدة ذات حراك سياسي ، وجاء ذلك عقب موافقة مصالي الحاج على الفكرة التي تقدم بها فرحات عباس مع بعض التحفظات ، ووضع ثقته فيه وقال له :" لو وثقت بك في تحقيق جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا فإنني على العكس لا أثق مطلقا في فرنسا ، فلن تقدم لك فرنسا شيئا ، ولن تزاح إلا بالقوة ، ولا تعطي إلا ما ينتزع منها " وفي 4 أفريل 1944 أودع فرحات عباس القانون الاساسي لجبهته المتحدة التي سماها بأحباب البيان والحرية لدى ولاية قسنطينة ، والحكومة العامة بالجزائر. وشكلت هذه الحركة تجمعا سياسيا ضم جمعية العلماء , وحزب الشعب . والحزب الشيوعي وقد هدفت إلى التعريف والدفاع في بيان الشعب الجزائري وادانة النظام الاستعماري4 ،وكان للأصدقاء السياسيين جريدة اسبوعية باسم المساوة ، تأسست في 15 سبتمبر سنة 1944 ، وظلت تدافع عن اهدافهم ، ونادوا الجزائريين بعدم تسجيل اسمائهم في هيئة الانتخابات الفرنسية وبمقاطعة التصويت فيها ،وانطلقت أصوات العلماء تنعت من يقبل بالجنسية الفرنسية بالكفر والخيانة5.

- انتفاضة الثامن مايو 1945والزخم الكبير :

قبيل انفجار انتفاضة الثامن مايو 1945 ،كانت المصالح الفرنسية تتابع باهتمام كبير تطور الحركة الوطنية الجزائرية من جانبه السياسي ، وكان قد تمثل ذاك التطور في انشاء حركة اصدقاء البيان والحرية التي قادها زعيم النخبة : فرحات عباس ، وقد تكثف نشاط الحركة خلال شهر مارس وبداية أفريل 1945. مما ادى بـ : شاتينيو ادوارد الحاكم العام الى ان يلاحظ بانها صارت خلال وقت قصير وسيلة لانصار حزب الشعب المنحل ومتنفس للتعويض للدخول المسرح الحياة السياسية6.

لقد جاءت الانتفاضة بوحي من احباب البيان والحرية وما تلا ذلك من نشاط ودعاية ويقضة وطنية ، لم يعتد عليها الفرنسيون ... فانتظروا الوقت ليتأهبوا للانقضاض على الشعب الجزائري ،ويكفي ان نورد حول هذه القضية الكلمة التي قالها الجنرال كاترو الذي كان حاكما عاما للجزائر ساعة صدور البيان وتأليف أصدقاء البيان والحرية بضرورة القضاء على " العاصفة " ويقصد بها عاصفة الحركة الوطنية الجزائرية7.

لقد قدم شارل روبير اجيرون عدة تأويلات لمظاهرات الثامن مايو التي خرج فيها الشعب الجزائري بعدما يئس من وعود فرنسا المكذوبة ومن بين هذه التأويلات ان تلك المظاهرات منسوبة الى النظامين الفاشي والنازي. وهذا ما ادعاه الحزبان الشيوعيان الفرنسي والجزائري بقولهما "...(انها) حفنة من الاشقياء المنتمين الى حزب الشعب الجزائري , العملاء الهتلريين الذين وصل بهم الامر الى دفع الجموع

---

[1] محفوظ قداش : تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ترجمة: أمحمد بن البار ، ج2،دار الأمة،الجزائر،ط2011،1،ص854.

[2] عبد الوهاب بن خليف : المرجع السابق ، ص162.

[3] محفوظ قداش : المصدر السابق ، 855.

[4] المصدر نفسه : ص884.

[5] أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص222 ، 223.

[6] يوسف مناصرية : دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية ، دار هومه ، الجزائر ، 2013 ، ص254.

[7] سعد الله : المرجع السابق ، ص 227.

الجزائرية المسالمة الى الخوض في مغامرة دموية ..."[1]،والظاهر ان تمكن حزب الشعب المنضوي تحت حركة أحباب البيان والحرية لإضفاء الشرعية على عمله السري، اوضح بمهرجاناته السياسية التي كان ينظمها تحت نفس الغطاء بساطة برنامجه وعدالة مطالبه، تمكن من تحويل جدران العاصمة خصوصا والمدن الجزائرية الكبرى إلى ملصقات ولافتات يقرأ عليها الصغير والكبير والمقدام والمتردد"حرروا مصالي وجميع المعتقلين، الجزائر أمة حرة، كلنا فداء الجزائر[2] ، وهو الأمر الذي اعتبرته سلطات الاحتلال نذر شؤم عليها وبداية حقيقية للتحضير لثورة عارمة، وذلك من خلال النشريات التي كانت تصدرها الحكومة العامة في شهري أكتوبر ونوفمبر1944، حول اشتراك حزب الشعب الجزائري المحظور مع جمعية العلماء المسلمين بغية تنظيم حملة واسعة النطاق لمقاطعة دور السينما الأوربية ومقاهيهم ومتاجرهم،إن طبيعة هذا الخطاب وتلك اللافتات التي كانت على مرأى ومسمع من سلطات الاحتلال هي التي انتزعت عقدة الخوف التي ظلت عالقة في قلوب الجزائريين المسلمين، وهي التي شحنت تلك المظاهرات التي كان ينظمها أنصار الحزب والمتعاطفين معه لتستقطب إليها كل شرائح السكان المسلمين.، تلك هي الحركية التي تميز بها نشاط الحركة الوطنية الجزائرية قبل الانتفاضة وأثناءها، حركية بدأت في شكل إقامة مهرجانات سياسية وتقديم عرائض ومذكرات توجت في الثامن من شهر ماي1945، بحالة من الزخم الكبير صنعة ملحمة من ملاحم نضال الجزائريين.

[1] لمياء بوقريوة : مجازر 08 ماي 1945 في منظور شارل روبر أوبيرون-دراسة تحليلية- مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، العدد السابع ، جامعة باتنة ، 2011،ص151،150.

مجلة الرؤية، الحركة الوطنية في مرحلة النضج 1942/1954، د، محمد العربي الزبيري[2]